فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ

قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري ، أنه حُدّث أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي ، خرجوا ليلةً ليستمعوا إلى رسول الله ﷺ وهو يُصلّي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجلٍ منهم مجلساً يستمع فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتىٰ إذا طلع الفجر تفرّقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً.

ثم انصرفوا حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجلٍ منهم إلىٰ مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتىٰ إذا طلع الفجر تفرّقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا. حتىٰ إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض: لا نبرحُ حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا علىٰ ذلك ، ثم تفرّقوا.

فلما أصبح الأخنس بن شريق ، أخذ عصاه ، ثم خرج حتىٰ أتىٰ أبا سفيان في بيته ، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد؟

فقال: يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعتُ اشياء أعرفها وأعرف ما يُراد بها ، وسمعتُ أشياء ما عرفتُ معناها ولا ما يُراد منها.

قال الأخنس: وأنا والذي حلفتَ به كذلك!

قال: ثم خرج من عنده حتىٰ أتىٰ أبا جهل ، فدخل عليه بيته ،

فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعتَ من محمد؟

فقال: ماذا سمعتُ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشّرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتىٰ إذا تحاذينا علىٰ الرّكَب وكُنّا كفرسي رهان[1]. قالوا: منّا نبيٌّ يأتيه الوحي من السماء، فمتىٰ نُدرك مثل هذا؟ والله لا نؤمن به ولا نُصدقه، قال: فقام عنه الأخنس وتركه[2].

أجل يا رسول الله!

هذا تفسيرٌ واضحٌ لقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ ـ ٣٤].

وهذه تسلية من الخالق سبحانه إلىٰ روح الوجود محمد ﷺ، وتعني: قد أحطْنا علماً بتكذيب مشركي مكة لك، وحزنك وتأسّفك عليهم، لكن: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨] ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾. [الشعراء: ٣].

إنهم متأكّدون أنك الصادق المصدوق، ولكنهم يعاندون الحق، ويدفعونه بصدورهم، لذلك فمعك النصر ولك العناية، ومعهم الخزي ولهم الضلال!.

يا من لحضرتِه الشفاعة واللِّوا ... والحوض قد أعطاكها المنَّانُ
لولا كتابك في البرية لم يقُم ... للحق قسطاس ولا ميزانُ
فلَكَ التَّحايا الزاكيات على المدى ... ما هُيّئت للعالمين جِنانُ

* * *

---

(١) أي: تساوينا في الشرف والمنزلة.

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٣٣٧، عيون الأثر لابن سيّد الناس: ١/ ١١١.